

## أمة شاعرة

فى الإجتماع الأخير للجنة الطبية بمستشفى النور فى أبوظبى والتي تضم فى عضويتها أطباء من مختلف الجنسيات من كل أنحاء العالم العربى تقريبا ونصف الدول الآسيوية كنا نناقش تصميم الموقع الإلكتروني للمستشفى وقد عرضت عليهم الموقع الخاص بى .. وكان فى الصفحة الرئيسية لموقعي مقاطع من قصيدة "بشائر أمة" حول اتفاقية السلام فى نيفاشا وقد نشرت فى الصحف السودانية والمحلية من قبل.. وعلق أحد الأطباء زملاء من الهند قائلا: "إننى لا أقرأ العربية .. ولكن هذا يبدو شعراً .. ولا بد أن يكون لأن معظم السودانيين يكتبون الشعر كما لاحظت". وعلق أحد الزملاء من العراق قائلا: "لقد كنا نعتقد أن الشعر راية عراقية يحملها المتنبئ إلى أن اكتشفنا أن السودانيين أمة شاعرة". وقال مدير المستشفى الدكتور قاسم العوم: "لقد لاحظت أن معظم الأطباء شعراء .. وأكثرهم شعراً الأطباء النفسانيون .. وأكثر هؤلاء سودانيون .. لا أدرى لماذا، وقد كان معنا فى الماضى فى هذا المستشفى قبل سنوات الزميل الراحل الدكتور حسبو سليمان وكان الطبيب السودانى الوحيد والشاعر فى المستشفى، والآن يأتى الدكتور الزين ليؤكد أن بعض الأطباء شعراء وكل السودانيين شعراء وقال الدكتور عزام اللاذقاني مدير الخدمات الطبية: "إننى لا أعرف سودانيا لا يكتب الشعر أو يغنى أو الإثنين معا".

لقد شعرت بكثير من الفخر والإعتزاز .. وأنا أسمع الآخرين وفى شتى المجالات و من مختلف الأقطار والجنسيات يشهدون بشاعرية السودانيين .. ويؤكدون على تاريخهم الحافل بنظم الشعر وفن الغناء و "الشعر ديوان العرب" .. وإن كانوا فى قلب أفريقيا النابض بالحياة والغائب عن بعض الأذهان وإن كان جسر التواصل بين العروبة وأفريقيا وهكذا ينبغى ان نكون فى مستوى هذا الأمل الكبير .. ولقد سمعت هذا التعليق وبنفس مستوى هذه القناعة طوال فترة عملي فى منطقة الخليج العربى .. وقد شاركت فى ليالى شعرية فى البحرين والإمارات والسعودية وعمان .. والأردن .. وحضرت و شاركت فى أكبر المهرجانات الشعرية "المربد" فى العراق .. مسقط رأس المتنبئ .. والبياتى .. والجواهرى .. وبدر شاكر السياب، و صفوة الشعراء العرب فى العصر القديم والحديث .. وعمالقة الشعر العباسى.

وأذكر فى مطلع الستينات عندما زرت بيروت والتقيت بالشاعر الغنائى المبدع الأستاذ السر دوليب .. كان يحمل معه ديوان الشاعر السودانى الكبير الأستاذ الفيتورى .. ديوان "اذكرينى يا أفريقيًا" .. وقد كتب عنه أحد الكتاب فى مجلة "الآداب البيروتية". وكانت أكبر ينبوع للثقافة العربية فى التاريخ العربى المعاصر .. وكان يحررها ويكتب فيها الدكتور سهيل ادريس .. والناقد الدكتور احسان عباس أستاذ النقد العربى .. فكتبوا عن الشاعر السودانى الذى يقرع طبول تحرير أفريقيا و يغنى للعرب .. وقضية فلسطين .. ويجمع بين الحسنين وسألنى أحد النزلاء فى الفندق عندما كنت أتصفح مجلة الآداب البيروتية: "لطفاً بنحكى عربى؟؟" .. فنظرت إليه مندهشاً وقلت: "نعم .. وأقرأ الشعر". وكانت بين يديّ هنالك قصيدة للفيتورى .. وأضفت متحاملًا: "وأكتب الشعر" .. وأعطيته نسخة من ديوانى "الضياء والحريق" المجموعه الأولى، التى جئت استلمها من "دار الثقافة" فى بيروت. عندئذ شعر الصديق بالحرص .. ونظر مرة أخرى الى صندوق العجائب الذى ربما كان يتكلم العربية بفصاحة أكثر منه .. وقال لى: "نحن سعداء بأن بيروت (سويسرا الشرق) أصبحت تستقبل كل الشعراء العرب والأفارقة .. ولكننا نهمل الكثير عنهم .. بينما اللبنانيون فى الشتات غطوا كل أطراف الكرة الأرضية" .. وكان ينزل معنا فى الفندق الأستاذ محمد عامر فوراوى وكيل وزارة الإعلام والعمل فى السودان آنذاك ورجل الأعمال الأستاذ حسين أحمد مكى عبده .. و الذى كان يبحث عن متطلبات لدار الطباعة والادوات المكتبية .. فقلت له: "إن الرجل الأول مثقف من الدرجة الأولى .. والثانى باحث فى نشر الثقافة العربية فى قلب إفريقيا".

وقارنت بين نظرة مواطن عربي من قلب بيروت التي قيل عنها يوماً ما.. إن لم تكذبني الذاكرة.. "بيروت تطبع والقاهرة توزع والسودان يقرأ"، وبين نظرة الطبيب الآسيوي اليوم والذي يعرف أن السودانيين لا يتكلمون اللغة العربية فقط وإنما يكتبون الشعر .. وبين قناعة الجميع بأن السودان أمة شاعرة.

وهذه حقيقة يجب أن نفتخر بها .. ونباهي بها .. ونؤصل لها .. لأن ضياع الهوية الشعرية أحد عوامل تفكك الهوية الثقافية .. واندثار الموروث. وفي أحد ليالي رمضان الكريم دعوت بعض الأخوة العرب من الزملاء الأطباء للأطباء .. وكان يعرض في قناة النيل الأزرق الفضائية .. برنامج "نجوم الغد" .. وهو برنامج واعد .. متجدد .. مبشر بمستقبل عظيم للثقافة الأفروعربية .. ثم تلتها فقرات "ظلال قصيرة" ومنها "الشارع يغنى". فقال لي أحد الزملاء الأطباء من الاردن: "يا زين، مافي حدا في السودان ما بيكتب شعر ومافي (زول) ما بيغنى .. طيب ليش ما بتطلعوا في القنوات الفضائية الأخرى .. وما فيها غير الغناء والشعر والطرب. قلت له: "ربما إلى جانب عوامل أخرى كثيرة .. قد يطول الحديث عنها بعد الإفطار وأنتم تتأهبون للذهاب لصلاة التراويح فإننا عشنا منذ الإستقلال سنوات من الجفاف الفكري .. والخلاف العقائدي .. والإنقلابات السياسية .. وأخيرا الحصار الإقتصادي مما جعلنا ندور في حلقة مفرغة حول متطلبات الحياة من الجوع والعطش والماء والكبرياء .. وكيف نكتب و نبدع ونحن تحت مطرقة الجوع .. وسندان الظلام .. والآن بعد أن خرجنا من النفق المظلم تجد الشعب يغنى .. والشارع يضئ .. وصورة التلفزيون تبعث على الفرحة والأضواء تتلألأ .. في ليالي رمضان .. لتقول أن السودان أمة شاعرة.

أما لماذا لا "نطلع" في القنوات الفضائية الأخرى .. فإنني أترك الأجابة لأولي الأمر منا- وفقهم الله -، ومن قال لا أعلم فقد أفتى.

و لنا عودة بإذن الله...

الدكتور الزين عباس عمارة - أبوظبي